Manifestations of religious and literary Legacy in poetry of the Omani poet Nour Al- Salmi

prof . Dr Sabah Abdul Redha Esaywad.
the University of Basrah
Literary and linguistic Dep.
Basrah and Arab Gulf studies center
E-mail: sabahalbasher@yahoo.com

Abstract :

The poet Nour Al - Din Al - Salmi considers one of the poets in the first era for the age of modernity in Oman. He represented that era very well because of his varied culture that related to many sources. He was a highly literary producer in period that was culturally tepidness not only in Oman but also in Arab homeland. His varied culture led him towards his interesting in the religious heritage and then in the literary tradition in many of his poems where the given poems consider just a body without soul if those heritage was removed. This put his poetry in case of continued intertextuality on a wide area of his poetry to extent that we can easily notice some verses of holy Quran and a lot of quotes that were taken from poetry of the ancient poets such as Antarah ibn Shaddad and Al-Mutanabbi who Al - Salmi attentioningly used them a lot times. He also used some other poets such as Amr ibn Kulthum, Imran bin Hatan and Tarafa but in less. His summons for that texts of those ancient poets was showing a logical consensus between his poetry and poetry of the ancient poets in the theme that motivated him to use their poetry. He used some verses of holy Quran to support structure of his text .

Key words:
religious legacy, literary legacy, Noureddine Salmi, Sultanate of Oman.

تجليات الموروثات الدينية والأدبية في شعر الشاعر العماني نور الدين السالمي .

أ.د. صباح عبدالرضا إسيود

جامعة البصرة

مركز دراسات البصرة والخليج العربي

E-mail: sabahalbasher@yahoo.com

المستخلص :

يعد الشاعر نور الدين السالمي من شعراء الحقبة الأولى في عصر الحداثة في سلطنة عمان، وقد مثل تلك الحقبة خير تمثيل بما يمتلكه من ثقافة متشعبة امتدت إلى مناهل عديدة؛ إذ إنه من المؤلفين المكثرين في وقت شهد فتوراً ثقافياً ليس في سلطنة عمان فحسب وإنما في بقاع الوطن العربي كلها. وقد كان لتلك الثقافة الدور الأكبر في توجه الشاعر إلى الموروثات الدينية بالدرجة الأولى ومن ثمَّ الموروثات الأدبية في كثير من قصائده بحيث تغدو تلك القصائد جسدا بلا روح إذا نزع عنها تلك الموروثات. وفي هذا دلالة على كثرة تردد المشارب الثقافية في شعره وهي التي جعلته في حالة تناص حثيثة ومستمرة وعلى مساحة شاسعة بحيث نستطيع أن نضع أيدينا على آيات القرآن الكريم مرات عديدة مثلما نستطيع أن نضعها على الشعراء الأقدمين أمثال عنترة بن شداد العبسي والمتنبي اللذين كان لجوء الشاعر إليهما لافتاً للانتباه، فضلاً عن شعراء آخرين يأتون بمرتبة أدنى ومنهم عمرو بن كلثوم التغلبي وعمران بن حطان وطرفة بن العبد وغيرهم. وقد كان استحضار نصوص أولئك الشعراء القدماء إيذانا من الشاعر على توافق منطقي بين شعره وبين شعر السابقين عليه في الفكرة التي جعلته يلجأ إليهم مثلما أفاد من آيات القرآن الكريم في تثبيت دعائم نصه.

الكلمات المفتاحية : الموروثات، الدينية، الأدبية، نور الدين السالمي، سلطنة عمان.

المقدمة:

حظي الأدب في سلطنة عمان باهتمام ملحوظ في السنوات الأخيرة وقد نبغ فيه أكثر من شاعر وقاص رجالاً ونساءً، وقد كان لتشجيع الدولة الأثر الكبير في أن نجد هذه النهضة الأدبية وهؤلاء الشعراء والكتاب على الساحة العمانية. فضلا عن أن الساحة الأدبية قد شهدت في مدة زمنية متقدمة مجموعة من الشعراء الكبار أمثال أبي مسلم الباهلي وأبي وسيم وأبي سلام الكندي وعبدالله الخليلي وسليمان النبهاني ونور الدين السالمي وغيرهم ممن كان لهم الأثر الكبير في توجهات الأدباء اللاحقة، ومن هنا جاء اختيارنا لهذا الشاعر الذي مثَّل نزعة أولية في خارطة الشعر الحديث في عمان ، كي نقف على المسارات الأولية التي وقف عليها الجيل اللاحق، بوصفه من الشعراء الأوائل الذين لا يكتمل عقد الشعر إلا بالتوجه إليهم وبيان الروافد التي استقوا منها أشعارهم علَّها تأخذ بأيدينا إلى الأساس الذي انطلقوا منه.

وقد أشار جامع ديوان الشاعر ومحققه الدكتور عيسى السليماني إلى أن الدراسات العربية وعلى عقود طويلة قد أغفلت الأدب في سلطنة عمان، ولم تولِه حقّه مثلما أولت غيره الخليجي والعربي من عنايتها، إلا ما صدر من بعض الإشارات المبتسرة هنا وهناك وهي لا تغني ولا تسمن من جوع، مما شكَّل له دافعاً كي يبرز بعض المعالم الشعرية في سلطنة عمان عندما توجه إلى تحقيق ديوان هذا الشاعر وإماطة اللثام عنه ليأخذ مكانته اللائقة به بين شعراء عمان والوطن العربي المحدثين[1].

ولا يغيب عن الناظر إلى ديوان السالمي تردد الموروثات الدينية والأدبية بقوة بين طيّات معظم قصائده إذا لم نقل كلها، فقد زحف التراث الديني والأدبي بما لا نظير له عند شعراء عصره على ثنايا تلك القصائد وحرَّكها باستمرار. وهذا يعكس توجهاً طالما استمد منه الشعراء العرب في الحقبة المتقدمة من الشعر العربي الحديث لتشكيل نصوصهم، كما أنه يكشف عن نوعية الثقافة التي تطبع بها الشعراء العمانيون في الحقبة المتقدمة، ولا سيما أن شاعرنا نور الدين السالمي قد عاش في المرحلة الأولى من بدايات الحداثة. ولهذا لا بدَّ من تتبع مسارات حياته قبل أن نشرع في بيان تجليات شعره ومكوناتها؛ لأنه عاش في حقبة زمنية ما زالت بحاجة ماسة لأن تتكشف للدارسين والمهتمين بالشأن الخليجي لبيان المؤثرات التي أنتجتها لنا، ولعل وقوفنا على مفردات حياته تدلنا على قبس من الحياة الثقافية في سلطنة عمان في الحقبة الأولى من حياتها الأدبية.

أولاً : حياة الشاعر نور الدين السالمي :

اشتهر الشاعر (عبدالله بن حميد) بلقب نور الدين السالمي حتى أصبح يطغى على اسمه مع أنه كان يلقب بأبي محمد وأبي شيبة؛ إلا أن لقب نور الدين الذي أطلقه عليه الشيخ امحمد بن يوسف أطفيش

(قطب الأئمة) صار ملازماً له وبه عرف[٢]. وهو من الشخصيات الإصلاحية التي اهتمت بالإصلاح الاجتماعي في حقبة غطى الجهل معالم طريقها مثلما عرف أنه من رجال الدين والعلم والسياسة، وكان خطيباً بليغاً يرتجل الخطب في المحافل والمجامع العلمية والأدبية، وقد اشتهر بالصدق والورع والزهد والكرم والبسالة والإقدام والشجاعة [٣]. وقد ترجم له أكثر من مؤلف على أنه من رجال الدولة العمانية الأوائل أمثال محمود بن مبارك بن حبيب السليمي الذي قال عنه إنه " إمام فقيه وشاعر كفيف البصر، عدَّ مرجع زمانه، انتهت إليه رئاسة العلم في عمان، له مؤلفات جمة "[٤]. مما أهله لأن يكون أحد المصلحين الأوائل في السلطنة، فضلا عن كونه مشغولاً بهموم أمته الإسلامية وهو ما يتجلى بتطلعه إلى أحوال العالم الإسلامي ولا سيما في نظمه بعض القصائد في الشؤون الإسلامية.

فقد امتدت حياته من ١٢٨٦هـ ، ١٨٦٩م إلى ١٣٣٢هـ ، ١٩١٤م على اختلاف بسيط في سنة ولادته ببعض الروايات[٥] ، إذ ولد ببلدة الحوقين من أعمال الرستاق وقد انتقل من الحوقين إلى الرستاق طلباً للعلم فلزم مجالس علمائها وأخذ يكرع من مناهل علمهم، وقد لازم الشيخ راشد بن سيف اللمكي والشيخ ماجد بن خميس العبري والشيخ صالح بن علي الحارثي وأدرك الشيخ عبدالله بن محمد الهاشمي وأخذ عنه. كان لبيباً سريع الفهم ولذلك هو محل إعجاب أساتذته وشيوخه ، وقد نبغ في العلوم النقلية والعقلية. ولم يكد يصل العشرين من عمره حتى أخذ يشارك رجال العلم في الدرس والتعليم، فكان أول ما عمله في مجال التأليف سنة ١٣٠٥ هـ، ثم ارتحل إلى نزوى لطلب العلم في علوم الرياضيات والفلك فتتلمذ على يد الشيخ محمد بن خميس السيفي، ثم انتقل إلى منح فأقام مع الشيخ محمد بن مسعود السعيدي ثم وصل إلى الشرقية لينزل ببلد المضيي مع الشيخ سلطان بن محمد الحبسي، ثم ألقى عصا الترحال عند الشيخ صالح بن علي. فكان هذا الانتقال من الرستاق إلى الشرقية تحولاً كبيراً في حياة السالمي العلمية والعملية، فأقبل على دراسة العلوم العقلية والنقلية وجمعها من الفقه والأصول والأدب واللغة حتى بلغ درجات عالية من العلم وهي درجة الاجتهاد، وبذلك أصبح مرجع الفتيا في تلك الحقبة التي خبا فيها العلم والتجديد في المذهب الأباضي[٦]، وبذلك كان السالمي مجدداً في الفقه والأصول في ضمن المذهب الأباضي، على الرغم من عاهة العمى التي أصيب بها وهو في الثانية عشرة من عمره[٧]. معتمدا على مطالعاته وقراءاته وشيوخه، ولا سيما شيخه صالح بن علي الذي كان لتشجيعه أثر كبير في إقامة صرح مدرسة علمية تدرس شتى العلوم كعلوم اللغة والتفسير والحديث والفقه وأصول العقيدة والكلام"[٨]، فضلا عن اطلاعه على آراء المذاهب الإسلامية الأخرى؛ وينجلي ذلك من خلال تتبعنا لنتاجه الذي بدأ به مبكراً وهو في سن السابعة عشرة فكانت حصيلته عشرات الكتب الفقهية والنقلية، ومنها تآليفه الآتية :

١- شرح طلعة الشمس على الألفية في علم أصول الفقه. وكان في مجلدين كبيرين.
٢- بهجة الأنوار وشرح أنوار العقول : في التوحيد والعقيدة.
٣- تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان : في جزأين كبيرين بتاريخ عمان القديم والحديث.
٤- الحجج المقنعة في أحكام صلاة الجمعة.
٥- شرح بلوغ الأمل في المفردات والجمل : في النحو والإعراب.
٦- جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام : في مجلدين كبيرين من أربعة أجزاء، وقد نظمه نظما في أربعة عشر ألف بيتٍ، يعالج فيه فقه العبادات والمعاملات والأخلاق.
٧- شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب : في ثلاثة أجزاء .
٨- مشارق أنوار العقول : وهو في العقيدة والأصول، وهو من أمهات المراجع في مذهب الأباضية.
٩- العقد الثمين في أجوبة نور الدين : في أربعة مجلدات، يعالج أمور الفقه بأسلوب السؤال والجواب.
١٠- تلقين الصبيان : يعالج مسائل الفقه والطهارات.
١١- غاية المراد في العقيدة.
١٢- قصيدة لامية في الاعتقاد.
١٣- المنهل الصافي في العروض والقوافي.
١٤- معارج الآمال وهو شرح لمدارج الكمال في الفقه والمعاملات والأحكام: في ثمانية عشر مجلداً ولم يكمله.
١٥- مدارج الكمال نظم مختصر الخصال.
١٦- الحق الجلي في سيرة الشيخ صالح بن علي.
١٧- رسالة بذل المجهود في مخالفة النصارى واليهود.
١٨- رسالة الحجة الواضحة في الرد على التعليقات الغامضة.
١٩- ديوان شعر : حققه ودرسه الدكتور عيسى بن محمد بن عبدالله السليماني[٩].

وقد استثمر الشعر بوصفه أداة إعلامية مهمة في نشر ما كان يجيش بمشاعره،" وأحاسيسه ، فكان شعره زفرة ألم وحسرة، لما يعايشه ويعانيه من واقع أليم "[١٠]. مثلما كان نداءً إصلاحياً للأمة الإسلامية عامة والمجتمع العماني خاصة وفي نشر مذهب الدولة الأباضي وتجديده. وقد شغل نفسه بنشر ثلاثة أمور هي: إقامة الحدود والإمامة والجمعة، ولما انقضت وجد أنه قد أدى رسالته فكان ينادي :" طبت يا موت فإن شئت فزر "[١١]. حتى وافته المنية في ١٣٣٢هـ الموافق ١٩١٤ م، عن عمر ناهز الثمانية

والأربعين عاماً. وسنعزف عن متابعة العلوم والمعارف العلمية والفقهية التي عمل بها السالمي؛ ونسلط الضوء على شعره فحسب بوصفه مجال الدراسة ومحلها.

ولعل أهم ما يميز شعرالشاعر أنه يتصل بالمعارف والعلوم العربية القديمة من شعر ونثر، ولما كانت مرجعية الشيخ دينية فقد كان اتصاله بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لافتاً للانتباه، وبصفة خاصة القرآن الكريم، وهو ما يتبين من خلال الفقرة الثانية من البحث التي تختص باستجلاء الموروث الديني في شعر نور الدين السالمي وبناء القصيدة من خلاله. وسنخصص الفقرة الثالثة من البحث للموروثات الأدبية في شعر الشيخ السالمي لما لها من أهمية بالغة في تحديد سمات الشعر عنده ولكثرتها من جانب آخر، وقد قدمنا دراسة تجليات القرآن والحديث النبوي الشريف لمكانتهما في نفوس المسلمين قاطبة، علاوة على اتساع دائرة العودة إليهما في شعره.

ثانياً : تجليات الموروث الديني في شعر السالمي :

أشار بعض الدارسين إلى أن الخطاب الديني في الشعر العماني يمثل قاعدة التجربة الشعرية الحديثة وهو مرجعية ثقافية واجتماعية وفكرية طالما استلهم منها الشعراء العمانيون أفكارهم ورؤاهم، فضلا عن تزامن ذلك الخطاب مع حركة الإحياء الشعرية الأولى وهو ما أسهم في ترسيخ الأسس الإصلاحية المحلية وإقامتها على قواعد متينة[١٢]. ناهيك عن مكانة الدين في عموم طبقات المجتمع وأفراده بحيث يصور لنا الدكتور أحمد درويش الاحتفالات التي كانت تقام لمن يحفظ القرآن الكريم في المجتمع العماني؛ ومن ثمَّ انتقال الفرد المتعلم إلى ما يسمى التراث الفقهي الأدبي الذي يتشكل من خلال نظام الأسئلة والأجوبة المنظومة مما شكل نظاماً تعليمياً مهماً عماده الدين والقرآن بصفة خاصة قبل نظام المدارس؛ وهو ما يسمى نظام (السيلة)[١٣]، وللسالمي كتاب مطبوع في هذا الصدد هو (جوابات الإمام السالمي) يقع في أكثر من ستمئة صفحة[١٤]. ومن المعروف في حياة الشاعر أنه من الملتزمين دينياً وأنه يمثل قطباً مهماً في التعبير عن المذهب السائد في البلاد وقد انتهت إليه رياسته، ولذلك فأنه كان ينادي بما يراه مناسبا للحياة والدين؛ ومنه ضرورة الابتعاد عمّا يشوب الدين من أدران أضحت كثيرة في عصره، ومن هنا كان توجهه إلى بعض مفردات القرآن الكريم وآياته وأحياناً تضمينه أحاديث نبوية شريفة أو معانيها في أبياته؛ لتكون عوناً له في سبيل كشف ما عجز عن مجاراته أو تغييره، ومن ذلك ما قاله في قصيدته الثانية(*) من الديوان :

ألا يا أيــها الأخــوان هذا زمان فيه تـوفير الأجـور
فهل مــن باذل نفسا لمولى جزيل الفضل منان غفور

لقد ألــهتكم اللــذات حتــى تشبــهتم بربات الخــدور
لقد أســرتكم الشهوات حتى غدوتم مثل سكان القبـور
ألم يأمــركم الرحمن " كنتم خفــافا أو ثقالا " بالنفـور
ألم يجِ جاهدوا في الله حتى تروا دين الإله على ظهور
ألم يقل اشترى منكم نفوسا وأموالا على عظم الأجور
فأنتم بالنفـوس عليــه بخل وبالأمــوال أنتم في قتور[١٥].

يبدو جليا أن الشاعر قد دخل بحالات تناص كثيرة مع بعض آيات القرآن الكريم وقد ضمَّن بعض الآيات والمفردات القرآنية بطريقة لماحة وذكية، إذ إن هدف الشاعر كان ينصب على تحريض المواطنين العمانيين على العودة إلى المنبع الثر الذي وجده ماثلاً في القرآن الكريم، ولهذا كان مباشراً في الدعوة إلى الجهاد، مما تطلب منه أن يذكرهم بكلام الله سبحانه وتعالى. وبإمكاننا أن نعود بالأبيات السابقة كلها إلى الأصل القرآني المباشر تارة وغير المباشر تارة أخرى، فعندما يقول : توفير الأجور، وباذل نفسا لمولى، وجزيل الفضل منان غفور، واللذات والشهوات ..إلخ فهي من المفردات التي تتردد في القرآن الكريم. وقد أشار الله – سبحانه وتعالى – في القرآن الكريم إلى أن الذي يجاهد في سبيل الله فإنما أجره على الله؛ وكثيراً ما تردد في القرآن صفات الله الجزيل الفضل والمنان والغفور، وقد أسلمنا هذا السياق إلى التضمين عندما نص على مفردات تمهد للتضمين والاقتباس كقوله : ألم يأمركم ، ألم يجِ ، ألم يقل. ومن ثمَّ حصل التضمين القرآني " انفروا خفافا أو ثقالا "[١٦]، و" جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله "[١٧] و" إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة "[١٨]. لتكون ذات دلالة مباشرة على تأثر الشاعر بسياق القرآن وألفاظه وآياته، ومن ثم فأنها حجة الشاعر على القوم الذين يوجه إليهم خطابه، كي ينهضوا من سباتهم ويواجهوا المعتدين والظالمين الذين غزوا البلاد العربية ومنها بلده عمان.

وتتعدد صور التضمين والاقتباس والتناص مع القرآن الكريم في هذه القصيدة وفي غيرها من القصائد بحيث يدخل النص القرآني في مجريات اللغة الخطابية ويحركها بطريقة لماحة أحيانا ومباشرة في أحيان أُخر، ففي القصيدة نفسها يقول :

كأنا قد شكــكنا فــي مقال أتى من عند مولانا القديـرِ
كأن الفرض منسوخ فما إن لهذا الأمر فينا مـن نصيرِ
كأن الله لــم يبعث رســولا ليُحيى الدينَ بالسِّيفِ البتورِ
فقامَ مجاهدا في الله حتــى عـلا دين الإله على البدورِ[١٩].

يبدو أن الشاعر يستغل ما ورد في بعض سور القرآن الكريم وآياته، وما حصل في سيرة النبي الكريم وصحابته والتابعين ليكون مَعْبَراً يتخذه الشاعر لبيان ما يجيش في داخله. ومن هنا فإنه يوجه سهامه النقدية لبعض أبناء جلدته الذين لم يهتموا بما ورد في القرآن من تحريض على مقارعة الأعداء ونيل الحقوق بالطريقة التي اعتمدها السلف الصالح، ولا سيما أن بلاده كانت تمر بمرحلة مهمة وقد تكالب عليها الأعداء في الداخل والخارج. ومن هنا فقد وجه له بعض النقد عندما وجد بعض الدارسين أنه لم يهتم ببناء قصيدته بناءً فنياً ولم ينقح شعره أو يصلحه، وذلك يتبدد حين نرى أن همّه كان يتمثل بإيصال رسالته الحماسية إلى بني مجتمعه، على الرغم من "أن قارىء قصائده يلحظ أنها تتجسد فيها طموحاته وتختلج برؤيته، وتتجذر فيها نقداته الصادرة عن نفس غيورة وإيمان صادق بدور الجماهير في التغيير"[٢٠]. وحين لم تتوافق ميوله ورغباته مع ما كان يراه في المجتمع تسرب إلى نفسه وشعره خلجات حزينة تراها ماثلة في كثير من المواقف التي صورها[٢١].

وقد استغل الشاعر الشيخ المعطيات الدينية في قصائده المخصصة للمديح أو الرثاء بصفة خاصة، ومن ذلك قصيدته التي خصصها لرثاء الشيخ أبي عيسى صالح بن علي التي تكاد تخرج على الأصول المتعارف عليها في قصائد الرثاء، بحيث أنها انتقلت إلى التحريض على القتال ولم تتوجه إلى شخصية المرثي إلا بأبيات قليلة، يقول فيها:

إنْ جاءَ نصرُ اللهِ والفــتحُ وبطلَ التدلــيسُ والشــطحُ
وقامَ بالعــدلِ همــامٌ بــهِ يُظهرُ من أفقِ العُلا صُبحُ

.....

إنْ قامتِ الحربُ بدا منهُ في أعراضُــها لــزندهِ قــدحُ
وهو إذا ما أوقــدتْ نارُهــا بنفسهِ في هــولِها سَــمحُ
أو ميلاً للصلحِ على وصمةٍ كانَ لهُ عن صُلحهمْ صَفحُ[٢٢] .

فقد ضمَّن الشاعر آية قرآنية كريمة في مستهل قصيدته بتغيير بسيط، مما يؤكد أهمية الخطاب القرآني في تحديد مقصد الشاعر وتوجهه، فهو يستل قوله من قول الله تبارك وتعالى"إذا جاء نصر الله والفتح"[٢٣]. ولولا أنه غيَّر إذا بـ (إن) لكان التضمين موافقا للآية القرآنية الكريمة تمام الموافقة، ويبدو أن التغيير جاء خوفا من كسر الوزن في القصيدة.

وقد يُبنى البيت الواحد على أكثر من آية قرآنية واحدة، بحيث يكون الشطر الأول من البيت مستلاً من آية قرآنية والشطر الثاني من آية أخرى؛ ومنه قوله :

لقدْ قعدوا بينَ الخوالفِ جهرةً ولو أنَّهمْ شاءوا الخروجَ لهُ اعْتَدُّوا[٢٤].

فالشطر الأول يشير صراحة إلى قوله تعالى:"رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون "[٢٥]. والشطر الثاني مأخوذ من قوله تعالى :" ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن الله كره انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين "[٢٦]. وذلك يدل على عظيم تأثر الشاعر بالسياق القرآني لأنه لو أراد تضمين آية أو مفردة قرآنية لاكتفى بكلمة أو تضمين فكرة من آية ولكنه أثقل نصه بآيتين كريمتين، مما ضيَّق من حيِّز النص الشعري إلى أبعد الحدود بحيث لم يسمح لخياله أن يرصد حالات المماثلة التي يمكن أن تكون بين النص القرآني والنص الشعري، وأبقى فقط ما يتوافق بين الحالة الموجودة في القرآن وبين الحالة الماثلة في الوقت الحاضر.

ومن هنا فإن القرآن الكريم يعد المحرك الأساس لكثير من قصائد الشاعر إذا لم نقل كلها ، بحيث نرى مرتبة تأثر الشاعر بالقرآن تسمو على مرتبة تأثره بالموروثات الأدبية التي تأتي بمرتبة أدنى من تأثره بالقرآن الكريم؛ بدليل أنه في قصيدته الأولى التي عارض فيها قصيدة عنترة، والتي كان من المفترض أن تتوجه إلى قصيدة عنترة وتستل من أفكارها بما يتقارب والأفكار الحديثة إلا إن توجهه الأساس كان نحو القرآن الكريم ولولا المعارضة لقصيدة عنترة لكان بإمكاننا أن نقول أن القرآن كان نصب عيني الشاعر فحسب وهو يصوغ قصيدته، التي يقول فيها :

أحن إلى ضرب السيوف القواضب وأصبو إلى طعن الرماح اللواعب[٢٧].

والتي خصصها لمدح الإمام صالح بن علي الحارثي وولده؛ إذ نراه لا يبتعد عن هذه الطريق التي أشرنا إليها وهي تأثره بالقرآن الكريم وأحيانا بالحديث النبوي الشريف، ولذلك فهو يعفُّ عما تردد في ثنايا قصائد المعارضات ويدخل بالتناص مع النص الديني وحسب؛ بما يكشف عن ثقافة متجذرة في نفسه بوصفه من رجال الدين والشيوخ الأوائل المنادين بتثبيت دعائم المذهب الأباضي وأركانه في سلطنة عمان في العصر الحديث، وذلك يتكرر كثيراً وبصفة مستمرة، ومنه قوله :

وقامَ لنصـــرِ الدِّينِ والدينُ دارسٌ فأحيَا بهِ الرَّحمـــنُ مهجةَ عاطبِ
وَمنْ ينصُرِ الرَّحمنَ ينصرْ جنودهُ ويمنـــحهُ المنـانُ خيـرَ المواهبِ
ومَنْ تكنِ الدُّنـــيا لهُ غايةَ المُنـــى فلا عاشَ إلا في هوانِ المصائبِ
ومَنْ يَرْتدِ ثوبَ المـــذلَّةِ لم يـَزَلْ وجِدُّكَ محفوفاً بهـــولِ المتاعبِ[٢٨].

فالممدوح الإمام صالح الحارثي قد قام لنصرة الدين عندما وجد ابتعاد الناس عنه، وقد كنى عن ابتعاد الناس عن الدين بأنه دارس وقد وفقه الله لما وجده على الطريق السليم، ثم يستند إلى قوله تعالى" يا أيها

الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم "[٢٩]، لتثبيت معالم ما ذهب إليه، ومن يرتد طريقاً غير هذه الطريق فأنه هالك لا محالة، وهكذا جاء البيتان الأخيران ينفران من الحياة الدنيا ويوعدان المرء بالعواقب السيئة إن لم ينصر دين الله ويجعل الدنيا كل همّه. وتلك سمة ومرتبة المصلحين الذين ينادون بتغيير أحوال العامة من الناس البسطاء كي يواكبوا التغييرات الكبرى التي تواجه مجتمعاتهم.

ويتكرر هذا المعنى في أبيات كثيرة وفي أكثر من قصيدة؛ ومن ذلك قوله في القصيدة الثانية من الديوان على سبيل التمثيل :

تركنا الدِّينَ مندرساً لدُنيَا وَعُوِّضَ عنهُ أنـواعَ الفجورِ
فَبُدِّلَ ذكرُ ربِّكَ بالملاهي من الغِنَا ومنْ ضربِ الزُمُورِ[٣٠].

فبعد أن صوَّر مقام البشر بأنهم كالراكبين على البحور اندفع إلى تجسيد القضية المهمة، وهي التي تتمثل في نصرة الدين بترك أنواع المعاصي والملذات التي تقف بالند من إحياء الدين ونصرته.

وفي ضوء ذلك نقول إن قصائد الشاعر لا تخرج عن محرك أساس أصيل يحركها نحو هدف واحد هو خدمة الدين ونصرته وترك المعاصي والخمول، ولذلك كثر غرضا الرثاء والمديح في ديوان الشاعر بصورة لافتة للانتباه، وقد وقف الباحث محمود بن مبارك السليمي على هذين الغرضين عندما بحث عن أثر الفكر الأباضي في الشعر العماني في بدايات الحداثة مع إشارات بسيطة إلى شعر الحماسة والزهد والشكوى[٣١]. مما يدل على تمكنهما من الشعراء العمانيين ومنهم شاعرنا السالمي. إذ يبدو أن ذلك يتوافق وما يوفرانه لما يرتجيه الشاعر، ويركن في وجدانه. لذلك فأننا إزاء صورة واحدة متكررة في الديوان لا تكاد تختفي لحظة واحدة، وهي نصرة الدين ومحاولة إرجاع المجتمع إلى الوضع الذي كان عليه أيام الإسلام الأولى، يقول :

هذا إذا شئتَ لقاءَ العُـلا أو فاترُكِ المجدَ لذا الوصفِ
وتاركُ المجدِ لخوفِ البِلا كعـابدِ اللهِ علـى حـرف ٍ
يَعبُـدُهُ إذا رأى نعـمةً وإنْ بُلـي رُدَّ إلى خَـلْفِ[٣٢].

وهو في هذا يضمر آية قرآنية هي " ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين"[٣٣]، مما يفضي إلى القول إن الآية الكريمة قد اختصرت ما اختمر في ذهن الشاعر، وهي في الوقت ذاته تؤلف المعيار الذي ينطلق منه الشاعر في جل تجربته الشعرية والفكرية التي تناصر الإسلام والمسلمين وتدعو إلى لم الشمل والاحتكام إلى رسالة الإسلام. ولذلك فهو عندما يتطرق إلى القضايا الاجتماعية لا يخرج عن تلك الجادة؛ ومن ذلك قوله :

هَـــوِّنْ عَليكَ فإنَّ الرِّزقَ مقسـومُ والعُـــمرَ في اللَّوْحِ محدُودٌ ومعْلُـومُ
فلا يـزيدُ على ما خَـطَّ منــهُ كما لا يدفعُ الجُبنَ ما في الغيبِ محتومُ
فَبَذلُكَ الجُهْدَ في ســـعيٍ ترومُ بهِ زيادةَ الــرِّزقِ جَهــلٌ منكَ مذمــومُ
وَصَونُكَ النَّفْسَ عن موتٍ تصادفُهُ وقد تأجَّلَ حمـــقٌ فيــكَ مرســومُ
....
كلاَّ وَرَبِّكَ لا يُجـدي الفــرارُ كَمَا لا يَنقُـــصُ العمــرَ إقدامٌ وتصميمُ
ففي الشجاعةِ نيــلُ المجدِ قاطبةً وفـــي الجبــانةِ كُــلُّ الذَّمِ محتـومُ[٣٤].

تتكشف الأبيات عن فكرته الرئيسة التي تمثل قطب الرحى في جل أشعاره، وهي تحريض الناس في زمانه على الشجاعة والعفة ومقارعة المستبدين والأجانب الذين يتحينون الفرص للانقضاض على البلد، وهو في ذلك يحث الناس على عدم الركون إلى الخوف، إذ إن الأقدار موزعة وكل إنسان له رزقه وعمره الذي لا ينقص ولا يزيد، ويمكننا أن نشير إلى أن ثمة من يحرك تلك الأبيات ويجرها إلى غاية الشاعر ومراده، وهو كلام الله الذي يحث الناس على الجلد وعدم الركون إلى الخوف ما دامت الأقدار مقسومة وموزعة بين الناس أصلاً. ولذلك فهو يوجه سهامه النقدية إلى الذين اتصفوا بالتقاعس والخمول، يقول :

لا تَقُلْ إنَّ العِدَى في كثرةٍ كمْ كثيرٍ قد أُهِيْنَ فهوَى
قومُ جالوتَ على كثرتهمْ خُذِلُوا والضِّدُّ منصورُ اللّوا[٣٥].

يستعين الشاعر هنا بقصص القرآن وبصفة خاصة قصة جالوت الذي انهزم أمام طالوت التي ورد بعض تفاصيلها في القرآن الكريم ويؤكد كلامه بآية كريمة هي" قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين "[٣٦]، فضلا عن قوله:"قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده"[٣٧]. مما يعني أن الشاعر قد وضع قصص القرآن وآياته نصب عينيه عندما صاغ هذه الصورة ولولاها لما وجدنا صورة شعرية ولا موقف يمكن الركون إليه.

وقد يبني الشاعر بيته أو أبياته على حديث نبوي شريف؛ ولكن ورود الأحاديث النبوية في الأحوال كلها أقل من ورود القرآن الكريم في بناء البيت أو القصيدة عند الشاعر السالمي، ولعل بيته الآتي يكشف عن ذلك فهو يقول :

وإنَّ جنانَ الخلدِ حُفّتْ بمكرهِ النـُّـ فوسِ ودونَ الخيرِ تبدو مناقبهُ[٣٨].

لا يكاد يخرج تأثر الشاعر بالحديث النبوي عن تأثره بالقرآن الكريم، فهو يريد هنا قول الرسول الكريم محمد (ص):" الجنة حفت بالمكاره، والنار حفت بالشهوات"[٣٩]. تعزيزاً لفكرته التي يحاول تثبيتها في جل

تجربته، وقد أشرنا إلى أنها لا تنفك ولا تتردد عن مطالبة قومه بإظهار بالشجاعة وإثبات الرجولة في زمن عزت فيه تلك المطالب. وتكاد هذه الفكرة لا تغيب عن قصائد الشاعر التي تأثر فيها بالشعراء العرب القدماء والمحدثين على حد سواء، على الرغم من أن تأثره بالشعراء الأقدمين كان أكثر وضوحاً وتجلياً بشعر الشاعرين عنترة بن شداد والمتنبي، وهو ما سنتوقف عنده في الفقرة اللاحقة من البحث.

ثالثاً : تجليات الموروثات الأدبية في شعر السالمي

لقد كان لمواقف الشاعر البطولية في تحريض شعبه على مقارعة الظلم والاستبداد أثر في أن ينهل من مشارب القوم الذين سبقوه في هذا المجال. ولذلك فقد كان من الطبيعي أن يتوجه الشاعر إلى شعراء بعينهم عُرفوا في تراثنا العربي بأنهم لم يأبهوا الملمات ومقارعة الأخطار؛ وبما يدل على ثقافة واسعة من لدن الشاعر، ولا سيما عندما استوحى التراث بطريق الإشارة بالصيغة[٤٠]، وبطريقة تكاد أن تكون خفية، إلا أن المتمعن بأبيات الشاعر وقصائده لا يستطيع أن ينكر تأثر الشاعر بالتراث العربي باستمرار؛ حتى ليغدو النص الشعري الجديد وكأنه إعادة لصيغ وعبارات قديمة لشعراء معينين من أمثال الشاعرين عنترة بن شداد العبسي والمتنبي اللذين توجه الشاعر السالمي إليهما أكثر من غيرهما، وبصفة خاصة عنترة الذي عرفناه في قصائده وسيرته مقداما لا يخشى مقارعة الأبطال وتجريدهم من قوتهم، ولذلك وجد فيه شاعرنا النفس الذي يعينه على تجسيد قضيته، كونه يمتلك ((الحس التاريخي)) كما أسماه إليوت، وهو ما يتضمن إدراكا لمعنى الماضي وشهوده في الحاضر معا، أي أن الماضي يسري في نسغ شعر الشاعر وهو يستطيع أن يغاير الماضي في الآن نفسه[٤١]. ومن ذلك قوله في القصيدة الثانية عشرة التي خصصها لذكر مصائب دهره وشدة صبره عندما رثى فيها أفاضل عصره؛ مشاكلاً لقصيدة عنترة؛ في مثل قوله :

أَبَـتْ إلاّ المـرُوَّاتِ الأبيَّـةْ نُفوسٌ لا تقرُّ علـى دنيـهْ
عَلَت شـرفاً وفلـتْ كُلُّ خطبٍ بأحسـابٍ وهمَّاتٍ عَليـَّـهْ
وَقَابَلَتِ المصـائبَ باحتسابٍ فخففَ صبرُها ثقلَ الرَّزيَّهْ
مصائبُ بَعْضُهَا في إثر بعضٍ فلولا الصَّبرُ لم تبقِ عليَّهْ
....
ولكنـي طويتُ عن الأعادي وكلُّ معاندٍ ما في الطَّويَّهْ
وأَظْهَـرْتُ التَّجـلُّدَ في أمورٍ يضيقُ بحملها جُلُّ البريَّهْ
تجرَّعْتُ المصـائبَ مترعاتٍ وقلـتُ بأنَّها الكأسُ الهنيهْ[٤٢].

وهو لا يخرج عما ورد في قصيدة بن شداد عنترة العبسي التي يقول فيها :

لَقيـنا يـــومَ صهباءٍ سريه حناظلة لهم في الحرب نيَّه
لقيـناهم بأســيافٍ حـــدادٍ وأُسْــدٍ لا تفرُّ مــن المنيّهْ
وكان زعيمهمْ إذ ذاك ليــثاً هزبــراً لا يُــبالي بالرَّزيــهْ
فَخلَّفناهُ وســطَ القاعِ ملقىً وها أنا طالبٌ قتــل البقيــهْ
ورحنا بالسِّيوفِ نسوقُ فيهم إلى ربوات معضــلة خفيهْ[٤٣].

لم يقتصر تأثر السالمي بقصيدة عنترة بالوزن والقافية فقط عندما اتخذ وزن البحر الوافر الذي هو وزن قصيدة عنترة ولا قافيتها على عادة قصائد المعارضات التي تتكرر فيها مثل هذه الصبوات؛ وإنما تعداها إلى الموقف الذي أشرنا إليه بتسمية إليوت الحس التاريخي، فنقل الشاعر المعاصر قدرته وقوة شكيمته تماماً كما فعل عنترة في عرض قوته والمباهاة بها، ويبدو أن المرحلة الزمنية التي يعبر السالمي عنها كانت بحاجة ماسة إلى تلك الشكيمة وعرض القوة، بعد أن مرَّ المجتمع العماني – والعربي عامة – بمراحل قاسية كانت بحاجة ماسة إلى مصلح سياسي وديني واجتماعي كي يبرزها على السطح وهذا ما نحسب أن شاعرنا السالمي قد تصدى له ونذر نفسه في سبيل تحقيقه.

ويبدو أن اتصال السالمي بعنترة لم يكن بقصيدة واحدة أو بموقف واحد وإنما تعداه إلى قصائد كثيرة ومواقف جمة، إذ يتراءى لنا أن مواقف الشاعر القديم قد وفرَّت الغطاء التاريخي لشاعرنا المعاصر ولذلك لجأ إليه كثيراً، معارضا إياه في بعض القصائد أو أنه ينهل من أفكاره وألفاظه في قصائد أخرى، ولعل قصيدته الأولى في الديوان تكشف عن معارضته لقصيدة عنترة البائية. إذ يقول :

لَشُغْلِي بأهلِ الدَّهرِ إحدى العجائبِ وتركي طلابَ العدلِ إحدى المصائبِ
فصوَّبتُ فكري أيَّ حالٍ يكــونُ لي منــاراً به أســمو لأعلــى المــراتبِ
وأيُّ مقامٍ فيــه أغــدوا مجــانبــاً لأهلِ الهَوى والغــيِّ من كُلِّ لاعــبِ
....
فجشَّمتُ نفسي الصَّعبَ علماً بأنَّ في تجشُّــمِهَا للصَّعْبِ درْكُ المــآربِ
وأوردتُــها مُــرَّ المــواردِ راجــياً لِيَحــلُو لها في المجدِ وِرْدُ المشاربِ
وحمَّلتُها الصَّبرَ الجمــيلَ محــاولاً بُلُوغَ المُنَى بالفتحِ من خيرِ واهــبِ
وجرَّدتُ من عزمي بحــدِّيَ صارماً أَقُدُّ بهِ هــامَ الخطــوبِ النَّوائبِ [٤٤].

لا يختلف السالمي عمّا أكده عنترة في بائيته التي يصف بها قوته، عندما أشار إلى صفاته التي غدت مضرب الأمثال وعلى مرِّ الأجيال؛ بيد أن تلك الأوصاف تغدو عند شاعرنا السالمي من موجبات تحركه

في المدة التي تحرك فيها لتغيير الأوضاع السيئة التي كان المجتمع يتخبط فيها، في حين كانت عند عنترة عرضا للقوة وحسب فيقول:

أحنُّ إلى ضربِ الّسيوفِ القواضبِ وأصبو إلى طعنِ الرماحِ اللواعبِ
وأشتاقُ كاساتِ المنونِ إذا صفتْ ودارتْ على رأسي سهامُ المصائبِ
ويطربني والخيلُ تعثرُ بالقنا حداة المنايا وارتعاج المواكبِ
وضربٌ وطعنٌ تحت ظلِ عجاجةٍ كجنحِ الدُّجى من وقعِ أيدي السَّلاهب(٤٥).

ولا يقتصر تأثر الشاعر بعنترة بالمعارضة فحسب وإنما بإمكاننا أن نقول إن نص السالمي يدخل بحالات تناص مع نصوص أخر لشعراء آخرين ولا سيما قطري بن الفجاءة وعمران بن حطان وهما من ألمع شعراء الخوارج مما يهيئ الأرضية الخصبة للقاء بين المؤثر والمتأثر كقول قطري بن الفجاءة :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبراً في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوبُ البقاءِ بثوبِ عزٍّ فيطوى عن أخي الخنع اليراع(٤٦).

بمعنى أن الشاعر يستغل أي نص يهديه إلى فكرته وبصفة خاصة عند شعراء الحماسة والقوة، وكما يبدو من قصيدة السالمي السابقة وهذه الأبيات لقطري بن الفجاءة أن هناك التقاءً بالفكرة والموقف ولا سيما أن الشاعرين ينتميان إلى مذهب واحد شاع قديما ووجد صداه عند العمانيين بصفة خاصة في العصر الحديث، على الرغم من أن هناك تغييراً في المنهج أو الانشقاق على الأصل عند المحدثين كما يبدو وكما ألمعنا إلى ذلك أكثر من مرة إلا أن السالمي لم يقتصر على أولئك الشعراء فحسب وإنما مدَّ يديه إلى الكثير من نصوص الشعر العربي القديمة فأفاد منها في سبيل إرساء قضيته وتأكيدها وهي التي نافح من أجلها وجاهد، وذلك يتجلى في توجهه إلى شعراء العربية القدماء الذي عرفوا بالجلد وقوة الشكيمة، ومن ذلك معارضته لقصيدة عمرو بن كلثوم المشهورة بالحماسة والتي تستهل بالقول:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تمسي خمور الأندرينا(٤٧).

فقال :

قَضَتْ أحسابُنا أن لا ندينا لحكمِ الحادثاتِ وإنْ رُزينا
وعزمٌ صادقٌ يأبى علينا لغيرِ المكرماتِ وإنْ بُلينا
وحاولتِ العُلا منَّا نفوسٌ لها شرفٌ يفوقُ الطائلينا(٤٨).

فهو لا يخرج عن النص التراثي إلا بما يتواءم مع الواقع المعاش، وإلا فإنه يدخل مع النص السابق بحالات تناص مستمرة. وهذا الأمر يتكرر كثيراً بحيث يمكن أن نذكر في هذا الصدد شعراء كثيرين أمثال حسان بن ثابت والخنساء وإبراهيم بن قيس الحضرمي والبحتري وابن الرومي و الإمام راشد بن سعيد، ولكن يبقى لعنترة والمتنبي الحظوة الكبيرة لدى الشاعر. فعندما يقول السالمي :

يلقى المنون كأنــه يلقى الحبيب المحتجب(٤٩).

فهو يذكرنا بقول عنترة :

أنا العبد الذي يلقى المنايا غداة الروع لا يخشى المحاقا(٥٠).

وحتى قوله السابق الذي يستحضر فيه معلقة عمرو بن كلثوم يمكن أن نجد صدى المتنبي فيه، ولا سيما في قوله :

قضتْ أحسابُنا أنْ لا ندينا لحكمِ الحادثاتِ وإنْ رُزينا(٥١).

يمكن أن يذكرنا بقول المتنبي :

وإنا لنلقى الحادثات بأنفس كثير الرزايا عندهن قليل(٥٢).

وعندما يقول :

فخلِّ التواني وقم للعلا بقلب منيب ودع من قسا(٥٣).

فهو يذكرنا بقول المتنبي :

إلى كم ذا التخلف والتواني وكم هذا التمادي في التمادي(٥٤).

وعندما يقول :

وجردت من عزمي بحدي صارما أقدُّ به هام الخطوب النوائب(٥٥).

فهو يذكرنا بقول المتنبي :

زعيم للقنا الخطي عزمي بسفك دم الحواضر والبوادي(٥٦).

وقوله :

لا عز إلا إن غمدت حديده في جثة الباغين والأنجاس(٥٧).

يذكرنا بقول المتنبي :

غمدتُ صواراً لو لم يتوبوا محوتهم بها محو المدادِ(٥٨).

أما الشعراء الآخرون الذين تأثر بهم السالمي فهم أولئك الشعراء الذين عرفوا بالحماسة ومجالدة الأعداء أيضا ولا سيما في قوله :

تجلد أُخيَّ وخلّ الأســا وقم للمعالي ولا تيأسا

فما نال مجدا فتى جازعٌ ولا نال خيرا فتى أينسا[٥٩].

وهو ما يحيل إلى أقوال كثير من شعراء الحماسة العربية ولا سيما قول الشاعر قطري بن الفجاءة الذي استشهدنا به في صفحة سابقة، كما أنه من الممكن أن ينهل من قول الشاعر أحمد شوقي :

وما في الشجاعة حتف الشجاع ولا مدَّ عمر الجبان الجبن

ولكن إذا حان حين الفتى قضى ويعيش إذا لم يحن[٦٠].

وهذا ما يفسر قوة نص السالمي وابتعاده عن السرقة ما دام يوفر الغطاء الكافي من الإبداع لنصوصه التي تتعالق مع نصوص الآخرين وبما يفسح المجال للتناص بأن يأخذ مداه في تلك النصوص. وبإمكاننا أن نذكر نصوصاً كثيرة لشاعرنا يقترب فيها من النصوص القديمة على سبيل التناص ومن ذلك قوله:

ماجد يسطو بعضب قاضب يفلق الهامات ضربا واللها

صارم العزم إذا ما قصدت نوب الدهر إليه فلها[٦١].

فهو قريب من قول حسان بن ثابت :

صادق النجدة كرم بارع غير ملتاث لدى وقع الأسل[٦٢].

وكذلك فهو يقترب من قول حسان :

لساني وسيفي صارمان كلاهما ويبلغ ما لا يبلغ السيف مقولي[٦٣].

وقوله :

وعن الخيانة أنها عار قبيح في العرب[٦٤].

يذكرنا بقول حسان بن ثابت أيضا :

إن الخيانة والمغالة والخنا واللؤم أصبح ثاويا بالأبطح[٦٥].

وقول السالمي :

قضت المنية بافتقا د مشائخٍ جم المنافع[٦٦].

يذكرنا بقول طرفة بن العبد :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مالِ الفاحش المتشدد

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفدِ[٦٧].

ويقول :

أصالح ركن الدين أمسى مهدما وأمسى مكان الذكر غي الملاعب

أصالح إن الجهل أرخى سدوله وألقى علينا حالكات الغياهب[٦٨].

ويقول :

فهل مبلغ عني بني المجد أنني على العهد لا أنفك عما أطالبه
وإن صوبت نحوي الليالي سهامها ودق عظامي من زماني نوائبه[٦٩].

وهي قريبة في معانيها من أقوال شعراء الحماسة العرب ولا سيما الشاعرين اللذين أشرنا إليهما مراراً؛ عنترة العبسي والمتنبي ومنه قول عنترة:

إذا كشف الزمان لك القناعا ومدَّ إليك صرف الدهر باعا
فلا تخـــش المنية والقينها ودافع ما استطعت لها باعا[٧٠].

ويقول :

خل عن ذكرى حبيب واللوى واطلب المجد بما الكف حوى

يذكرنا بقول امرىء القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهو لا يقتصر في تأثره على الشعراء القدماء فحسب وإنما نجد صدى الشعراء المحدثين يتكرر أيضا ومن ذلك قوله :

من رام نيل المجد باللطف ومن معادات العلا مستخفي
فقل له إن العلا قــد أبت خطبـة غير الباسل الصرف
فتى يرى الإقدام عند اللقا أشهى من الماء على اللهف[٧١].

فهو يذكرنا بقول حافظ إبراهيم :

مَنْ رامَ وصلَ الشّمسِ حاكَ خُيُوطها سبباً إلى آمالهِ وتعلّقا[٧٢].

وقوله :

تجلد أُخيَّ وخلِّ الأسـا وقم للمعالي ولا تيأسا
فما نال مجدا فتى جازع ولا نال خيرا فتى أيئسا[٧٣].

وقوله:

وابذل المجهود في نيل العلا فالفتى إن لم ينلها في هوى

فهل مما يذكرنا بقول شوقي :

لا تقل إن العدى في كثرة كـم كثيــر قد أهين فهوى
قوم جالوت على كثــرتهم خذلوا والضد منصور اللوا[٧٤].

وإجمالا فإن النص الشعري عند نور الدين السالمي يحيل دائما إلى مرجعية سابقة؛ بحيث لا نكاد نعثر على جملة شعرية من دون أن تحيل تلك الجملة إلى ما سبقها من نصوص. وذلك ما يجعل النص في

أغلب الأحوال معاداً ومكرراً لألفاظ ودلالات الآخرين ولكنه يتوافق وما حصل في بدايات الحداثة. فضلا عن أن المرحلة التي عاشها الشاعر كانت في حاجة ماسة إلى هذا النمط من القصائد، بوصفها توفر روحاً مشرئبة وثائرة على ما كان سائداً في المجتمع وهو بحاجة لأن تقدح زناده كي يثور على ما يثبط من العزيمة.

الهوامش :

١- ينظر ديوان نور الدين السالمي للعلامة المحقق عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي – تحقيق ودراسة الدكتور عيسى بن محمد بن عبدالله السليماني : ٩.

٢- ينظر جوابات السالمي ، المقدمة :١٠.

٣- ينظر ديوان نورالدين السالمي للعلامة المحقق عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي،المقدمة:١٠ وما بعدها .

٤- أثر الفكر الأباضي في الشعر العماني في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين : ١٧ ، وحاشية : ٢٠٤ .

٥- أشار محقق كتاب جوابات السالمي إلى الاختلاف في سنة ولادته وهي تقتصر على السنوات ١٢٨٣هـ و١٢٨٤هـ و ١٢٨٦ هـ و١٢٨٧هـ و١٢٨٨هـ ويبدو أن التباين في سنة ولادته قد وصل إلى المحقق نفسه فهو يرجح سنة ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م في المقدمة التي خص فيها الكتاب بينما يضع في الصفحة الأولى من عنوان الكتاب ١٢٨٦ – ١١٣٣٢هـ. ينظر جوابات السالمي : ١٠.

٦- عقد الأستاذ عبدالغفار حسين جلسة مع كتاب الدكتور حسين غباش الموسوم عمان .. الديمقراطية الإسلامية ناقش فيها الفكر الأباضي المنحدر من فكر الخوارج في كتابه (قراءات في كتب من الإمارات: ٩٥- ١٠٧) ، في حين يشير كثير من الباحثين إلى اختلاف الفكر الأباضي عن فكر الخوارج ولا سيما الأستاذ محمود بن مبارك السليمي الذي عقد مقارنات موسعة بين الفكرين ومنه قوله : " فالأباضية قد حكموا بضلال الخوارج وفسقوهم بل وحاربوهم " أثر الفكر الأباضي في الشعر العماني : ٣٠ وكذلك قوله: " وعليه فإن الأباضية لا يجمعهم مع الخوارج أي جامع، ولا يربطهم بهم أي رابط في معتقدهم وسلوكهم " المرجع السابق : ٣٣.

٧- ينظرجوابات السالمي : ١٣.

٨- المرجع السابق : ١٥.

٩- ينظر ديوان نور الدين السالمي : ٤١- ٤٢، وقد نقل محقق جوابات السالمي عن الأستاذ سلطان الشيباني ثلاثا وأربعين مخطوطة وكتابا في مقدمته للكتاب : ٢٠-٢٤.

١٠- ينظر المصدر السابق : ٤٣.

١١- ينظر المصدر السابق: ٤٥.

١٢- ينظر الصورة الشعرية في بناء القصيدة العمانية-الدكتور عيسى بن محمد بن عبدالله السليماني: ٣٣١.
١٣- ينظر مدخل إلى دراسة الأدب في عمان : ١٠- ١١.
١٤- جوابات الإمام السالمي للإمام نور الدين عبدالله بن حميد السالمي .
*- لم يعنون الشاعر ولا جامع الديوان ومحققه قصائد الشاعر وإنما وضع الدكتور عيسى السليماني، وهو محقق الديوان، أرقاماً للقصائد فكانت اثنتين وثلاثين قصيدة هي ما تمكن من جمعه للشاعر كله.
١٥- ديوان نور الدين السالمي : ٦٤.
١٦- سورة التوبة ، الآية ٤١.
١٧- سورة التوبة الآية ٤١.
١٨- ديوان عنترة بن شداد – تحقيق نور الدين حاضري ومحمد حمامي : ١٢٦.
١٩- سورة محمد الآية (٧) .
٢٠- أثر الفكر الأباضي في الشعر العماني : ١٨٢.
٢١- المرجع السابق : ٢٠٥ – ٢٠٦.
٢٢- ديوان نور الدين السالمي : ٨٥.
٢٣- سورة النصر ، الآية (١) .
٢٤- ديوان نور الدين السالمي : ١١١.
٢٥- سورة التوبة ، الآية (٨٧).
٢٦- سورة التوبة ، الآية (٤٦).
٢٧- ديوان عنترة بن شداد – تحقيق نور الدين حاضري ومحمد حمامي : ١٢٦.
٢٨- ديوان نور الدين السالمي : ٦٠.
٢٩- سورة محمد الآية (٧) .
٣٠- ديوان نور الدين السالمي : ٦١.
٣١- ينظر أثر الفكر الأباضي في الشعر العماني :١٠١ وما بعدها.
٣٢- المصدر السابق : ٨٣.
٣٣- سورة الحج آية (١١) .
٣٤- ديوان نور الدين السالمي : ٦٨.
٣٥- ديوان نور الدين السالمي : ١٠٤.
٣٦- سورة البقرة الآية (٢٤٩) .
٣٧- سورة البقرة الآية (٢٤٩).
٣٨- ديوان نور الدين السالمي : ٧٩.

٣٩- مختصر صحيح مسلم – للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم – القشيري النيسابوري ، إشراف وشرح ومراجعة سعيد بن محمد اللحام ، رقم الحديث ١٤٠٨ :٣٨٤.

٤٠- ديوان نور الدين السالمي : ٢٤٠.

٤١- ينظر أصول قديمة في شعر جديد – نبيلة الرزاز اللجمي : ٢٨.

٤٢- ديوان نور الدين السالمي : ١٠٢- ١٠٣.

٤٣- ديوان عنترة : ٥٧ .

٤٤- ديوان نور الدين السالمي : ٥٧ – ٥٨.

٤٥- ديوان عنترة بن شداد : ٧٦.

٤٦- شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٧٧/١.

٤٧- شرح المعلقات العشر – الزوزني : ٢٠٠.

٤٨- ديوان نور الدين السالمي : ٧١.

٤٩- المصدر السابق : ١٦٤.

٥٠- ديوان عنترة بن شداد : ٧٦.

٥١- ديوان نور الدين السالمي : ٧١.

٥٢- شرح ديوان المتنبي : ٣/ ٢٣١ .

٥٣- ديوان نور الدين السالمي : ١٢٧.

٥٤- شرح ديوان المتنبي : ٢٢٣

٥٥- ديوان نور الدين السالمي : ٥٨.

٥٦- شرح ديوان المتنبي :٢٢٢.

٥٧- ديوان نور الدين السالمي : ١٣٠.

٥٨- شرح ديوان المتنبي : ٢٣٥.

٥٩- ديوان نور الدين السالمي : ١٢٦.

٦٠- الشوقيات : ٣/ ١٧٠.

٦١- ديوان نور الدين السالمي : ١٢٤.

٦٢- ديوان حسان بن ثابت : ٧٢.

٦٣- المصدر السابق : ٧٢.

٦٤- ديوان نور الدين السالمي : ١٤٨.

٦٥- ديوان حسان بن ثابت : ٢١.

٦٦- ديوان نور الدين السالمي : ٩٥.

٦٧- ديوان طرفة بن العبد : ٣٤.
٦٨- ديوان نور الدين السالمي : ٦١.
٦٩- ديوان نور الدين السالمي : ٨١.
٧٠- ديوان عنترة بن شداد : ٧٦.
٧١- ديوان نور الدين السالمي : ٨٢.
٧٢- ديوان حافظ إبراهيم : ٣٧٤.
٧٣- ديوان نور الدين السالمي : ١٢٦.
٧٤- المصدر السابق : ١٠٤.

المصادر والمراجع :

١- القرآن الكريم .
٢- أثر الفكر الأباضي في الشعر العماني في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين – محمود بن مبارك بن حبيب السليمي، أطروحة دكتوراه بإشراف أ . د . عبدالجليل عبدالمهدي، مقدمة إلى كلية الدراسات العليا – الجامعة الأردنية، ٢٠٠١.
٣- أصول قديمة في شعر جديد – نبيلة الرزاز اللجمي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق ١٩٩٥.
٤- جوابات السالمي للإمام نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، إشراف عبدالله بن محمد بن عبدالله السالمي، تنسيق ومراجعة د. عبدالستار أبو غدة، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية العمانية، مكتبة الإمام السالمي، ولاية بدية سلطنة عمان ٢٠١٠.
٥- ديوان حافظ إبراهيم ضبطه وصححه وشرحه ورتبه أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (٣) ١٩٨٧.
٦- ديوان حسان بن ثابت، طبع المطبعة الدولة التونسية، ١٢٨١ هـ .
٧- ديوان طرفة بن العبد – اعتنى به عبدالرحمن المصطاوي وحمدو طماس، دار المعرفة – بيروت لبنان ٢٠٠٣.
٨- ديوان عنترة بن شداد – اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ط (٢)، ٢٠٠٤.
٩- ديوان نور الدين السالمي للعلامة المحقق عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي – رحمه الله – تحقيق ودراسة الدكتور عيسى بن محمد بن عبدالله السليماني، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط (٢) ٢٠٠٩.

١٠- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام للخطيب التبريزي، أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني المتوفى ٥٠٢ هـ، منشورات دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ٢٠٠٠.
١١- شرح ديوان المتنبي للواحدي من موقع مكتبة المصطفى الالكتروني .
١٢- شرح المعلقات العشر – للقاضي الإمام أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان ، ١٩٨٣.
١٣- الشوقيات، الأعمال الشعرية الكاملة المجلد الثاني – أحمد شوقي، دار العودة بيروت ١٩٨٨.
١٤- الصورة الشعرية في بناء القصيدة العمانية (١٩٨٠- ١٩٩٠) – الدكتور عيسى بن محمد بن عبدالله السليماني، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان – الأردن ، ٢٠٠٠.
١٥- قراءات في كتب من الإمارات – عبدالغفار حسين، مطبعة الفجيرة الوطنية وكتباتها، نشر اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ٢٠٠٠.
١٦- مدخل إلى دراسة الأدب في عمان – د . أحمد درويش، دار الأسرة للطباعة والنشر والتوزيع، مطابع دار المعارف بمصر، ١٩٩٢.
١٧- مختصر صحيح مسلم – للإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم – القشيري النيسابوري، إشراف وشرح ومراجعة سعيد بن محمد اللحام، مكتبة الدراسات والبحوث العربية الإسلامية – دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٩١.